## اصداء نهضة الحسين (ع).. تنمية للوعبي السياسي



يتحدّّث الحسين (ع) عن سبب خروجه من المدينة ورفضه للسلطة اليزيديّة وإعلانه للثورة على يزيد، ويـُجيب ُ على تساؤلات ِ الكثيرين، ويحدّ ِد هويّة َ الحركة، ومعالم الانطلاقة، وا ُسس المواجهة مع النظام الأموي الجـديد، ويعلنها للملا من الناس في رسالة وجّهها لاخيه محمّّد بن الحنفيّة.

ويؤكِّد فيها أن تردِّي الاوضاع السياسية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية للا ُمَّة، والاحساس بمسؤولية الاصلاح هي السّتي دفعته للتحرَّك والخروج من المدينة لقيادة المقاومة ومجابهة الحاكم الأموي الجديد.

## فقد جاء في نص الرسالة:

المنصب وجعله طريقا ً للاثراء والمتع واللَّذات والاستئثار.

"لم أخرج أشرِراً ولا بَطرِراً، ولا مُفْسرِداً ولا ظالرِماً، وإنَّما خرجتُ لطلبِ الاصلاحِ في ا ُمَّة ِ المَّة ِ جدَّرِي وأبي". جدَّرِي رسول ا□ (ص)، أريد ُ أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير َ بسيرة ِ جدَّرِي وأبي". فالإسلام يشترط في القائد النَّذي يقود الا ُمَّة، ويمسك بزمام الا ُمور أن يلتزم بقواعد القسط والعدل، ويحترم قوانين الشريعة وإرادة الا ُمَّة، ويلتزم بسيادة القانون، ويتجرّد عن حبَّ التسلَّط واستغلال

ويزيد كما يعرفه الحسين (ع) وتعرفه طبقات الأ ُمَّة ليس له أهليَّة القيادة ولا أخلاقية الإِمامة، فهو

شخصية خليعة ماجنة، جلّ اهتمامه اللهو واللعب، وجلّ اشتغاله بالنّ ِساء والخمور وملاعبة الكلاب والقردة وإنشاد الشعر وسباق الخيل وصيد البراري.

إن "الا ُم م السلامية تعرف أن "الإمامة والقيادة لا تكون إلا "لرجل قدوة في عمله وخلقه واستيعابه لأحكام الشريعة وقوانيها، وإلا "لمن توف "رت فيه الحكمة والحنكة السياسية، فكيف يسلم الحسين (ع) ابن بنت رسول ال (ص) وزعيم الا ُم ة ال ذي تعقد عليه آمالها، وترى في شخصيته القدوة والقيادة لها؟ لذلك رفض الحسين (ع) مبايعة يزيد وأعلن الثورة والمواجهة المسل حة، وشرح في كتبه ومراسلاته مع الأقطار والأنصار سبب تحر "كه، ووض م مبر "رات ثورته، ليفقههم بنظرته السياسية، وتحليله للأوضاع والظروف السياسية، المسل والانحراف والاستبداد.

فقد جاء في رسالته لأهل الكوفة يعرّ ِفهم بالمواصفات الّتي يجب أن يتصف بها الإمام لينّ ِمي وعيهم السياسي، ويعرّ ِف بشخصية القائد الّذي تجب له البيعة والطاعة:

"فَلَعَمَّري ما الإمامُ إلا ّ الحاكِمُ بالكتابِ، القائمُ بالقسطِ، الدائنُ بدينِ الحقِّ. الحابِسُ نفسه على ذات ِ ا∐".

وكتب كتابا ً إلى زعماء البصرة وقادة الرأي والمعارضة فيها (رؤساء الاخماس) وهم: مالك ُ بن مسمع البكري، والاحنف ُ بن قيس، والم ُنذ ِر ُ بن الجارود، وم َسعود ُ ابن عمرو، وقيس ُ بن الهيثم، وعمر ُو بن عبيد بن معمر، وأرسله مع أحد رجاله (سليمان، أبي رزين)، وجاء في هذه الر ّ سالة:

"وأنا أدعوكم إلى كتاب ا□ وسنّة نبيّ ِه (ص)، فإنّ السنّة َ قد ا ُميتَت°، والبـِد°عَة َ قد ا ُح°يـِيـَت°، فإن° تسمعوا قولي أهد ِك ُم إلى سبيل الرّشاد".

وهكذا يثبِّت الإمام الحسين (ع) الاُسسَ والاُصولَ السياسية لنظرية الحكم، ويثبِّت قواعدها واُصولها القانونية في شريعة القرآن.

لقد كان الحسين (ع) ينظر لشؤون الدولة والسياسة وقضايا الا ُم ّة والقيادة والإمامة بمنظار القرآن، وكان يزيد ينظر إليها بمنظار الحاكم المتسل ّعا، فقد كان الحسين (ع) يرى القيادة أداة ووسيلة لوضع الا ُم ّة على طريق الهدى والصلاح، والعمل على تربية الإنسان، وبناء شخصي ّته، وتنظيم الحياة وتطويرها نحو الخير والكمال.

فهو يرى الدولة الإسلامية دولة تقوم على أساس الإسلام، وتستمد ّ منه قوانين َها وتشريعاتها وقيمها الحضارية، ويرى أن ّ أجهزة السلطة هي القو ّة الحامية للمبادئ، والحارسة لأهداف الا ُم ّة، والموك ّلة نيابة عنها بتطبيق القانون وإقامة العدل وتقديم الخدمات، وهي مسؤولة عن كل ذلك أمام الا ُم ّة وأمام السبحانه.

ومن خلال استقراء الكتب والحوار والخطب والمراسلات ودراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمرحلة السّتي عاشها الحسين (ع) نجد:

1 ـ الاستبداد والاستئثار بالسلطة، فقد نشأت طبقة ٌ سياسية متميّ ِزة وحزب ٌ عشائري متفرّ ِد، هو الحزب

الأموي فاستأثر بالسلطة والمال والإدارة وحرم بقيّة أبناء الا ُمّة، حتّى غدت الدولة ح َكـْرا ً للأمويين، وملكا ً خاصّا ً لهم.

2 \_ القتل والإرهاب وسفك الدماء.

3 ـ العبث بأموال الا ُمِّة والدولة ونشوء طبقة رأسمالية إلى جانب الفقر والحاجة في ذلك المجتمع، وعدم أهليَّة كثير من المتحكَّ ِمين لاشغال المناصب وتولَّي المسؤوليات.

4 \_ الانحراف السلوكي، فقد بدأ الانحراف يدبّ في الحياة العامّة، ومظاهر الفساد الاجتماعي تظهر في سلوك الافراد والجماعة.

5 \_ غياب القانون وتحكَّم المزاج والمصلحة الشخصية للحاكم والولاة بدل الشريعة والقانون في مواقع خطرة ومهمَّة من حياة الا ُمَّة.

6 ـ نشوء طبقة من وضّاع الحديث والمحرّ ِفين لسنّة رسول ا□ (ص) والدّاسّ ِين عليها، ونشوء فرق كلامية،كالجبرية وغيرها، لتبرير السلوك السياسي للسلطة والدفاع عنها.

وقد حفظ لنا التاريخ أرقاما ً ووقائع تشهد بانحدار المجتمع وتباعده عن كثير من قيم الإسلام وقوانينه، ومن يقرأ تلك الفترة بإمعان يجد أن ّ ثورة الحسين (ع) كانت ضرورة تأريخي ّة، وأن ّ الطّروف والاوضاع المترد ّية هي السّتي أفرزت عوامل الثورة وأسبابها، وأن ّ الحسين (ع) لم يجد مَناصا ً مرن َ التحر ّك والثورة، فلنأخذ مثلا ً على ذلك الوضع الأمني، والامن الاجتماعي السّذي ثبسّت َه ُ الاسلام ُ يقوله:

(فَلَّيَعَّبُدُوا رَبَّ هَذَا الَّبَيَّتِ \* الَّنَذِي أَطَّعَمَهُمْ مِنْ جُوعِ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفِ ) (قريش/4-3)

(مَن قَتَلَلَ نَفْسَاً بِغَيْرِ نَفْس أَوْ فَسَاد فِي الأَرْضِ فَكَاْ َ نَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمْدِيْعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ جَمْدِيْعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمُ وُسُلُنْنَا بِهَا وَكَاْ فَكَاْ نَّمَا أَحْيِا النَّاسَ جَمْدِيْعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمُ وَسُلُنْنَا بِالدَّبَا النَّاسَ جَمْدِيْعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمُ وَسُلُمُنَا النَّاسَ جَمْدِيْعاً وَلَقَدَ وَلَا الأَرْضِ وَسُلُمُ لَا عَنْ اللَّ وَرَضْ لَا اللَّهُ اللْعُلُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلَى الْمُعْلَمُ الْمُعْلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلَمُ اللَّهُ الْمُعْلَى الْمُعْلَمُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُولُولُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلَمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ الللْمُ

وقد تدهور وانحطّ الوضع الأمني إلى درجة الابادة والارهاب. فقد سلّط الحزُب الحاكم سيفَهُ وسوطَهُ وسجونَهُ ودعايتَهُ على الاُمِّة رقاب وخصوصاً أتباعَ أهل البيت، وزعماء المعارضة من أنصار الإمام عليّ والحسن والحسين (ع). فقد وصف أحدهم تلك الظّروف الارهابيّة، مخاطباً أصحابَهُ ومذكّ ِرااً لهم

"إنَّكم كنتم تُقْتَلُونَ وتُقَّطَّعَ أيديكُم وأرجلُكُم، وتُسْملُ أَعينُكُم، وتُرفعونَ على جذوع النِّخل ِ في حبُبِّ أهل ِ بيت نبيِّكم، وأنتم مقيمون في بيوتكم وطاعة ِ عدوِّكم".

وقر ّر معاوية بن أبي سفيان استئصال زعماء المعارضة وقادة الرأي من أتباع أهل البيت وأعوانهم، فقتل منهم جماعات لم يـُحص ِها التأريخ ُ بشكل دقيق وواضح إلا ّ إنسّنا نذكر بعضا ً منهم أمثال: ح ُجر بن عَدِي، وهو صحابي جليل: "وصفه الحاكم في المستدرك أنَّه راهب أصحاب محمَّد (ص)".

واستنكر الامام الحسين بن علي (ع) قَتَّلَ هذا الصحابي الجليل، و َقَتَّلُ أصحابه، وجاء ذلك الاستنكار، في إحدى الرسائل السّتي كتبها الحسين (ع) إلى معاوية بن أبي سفيان، كما جاء فيها تعريف ووصف لتلك الشخصيات السياسية الصالحة:

## قال الإمام الحسين في رسالته:

"أ لـَستَ القاتِلَ حُجراً أخا كندة، والمصلِّين العابدين، النّذين كانوا يُنكرون الظلّمَ، ويَستعظمون البِدَعَ، ولا يخافونَ في ا□ِ لومة َ لائم؟ قتلتَهُم ظُلُا ْما ً وعُدوانا ً من بعد ما كنت َ أعطيـتَهُمُ الإيمـانَ المغلسّظة، والمواثيق المؤكسّدة (يشير إلى المادّة الخامسة من معاهدة الصّلح) أن ْ لا تأخذَهُم بِحَدَث كانَ بينكَ وبينهم، ولا بِإح ْنتَة تجدها في نفسك عليهم".

وكان معاوية قد قتل مع حجر بن عدي جماعة من أصحابه لاعلانهم المعارضة لحكومة معاوية، والولاء للإمام على وبنيه (ع)، وهم:

- 1 \_ شريك بن شدّاد الحضرمي.
- 2 \_ صيفي بن فضيل الشيباني.
- 3 \_ عبدالرّحمان بن حسان العنزي.
  - 4 \_ قبيصة بن ض ُبيعة العبسي.
    - 5 \_ كدام بن حيان العنزي.
- 6 ـ محرز بن شهاب بن بجير بن سفيان بن خالد بن منقر التميمي.

وبالإضافة إلى هذه الطليعة من رجال المعارضة ممّن تحرّكوا مع حجر بن عدي وسيقوا معه إلى القتل، فقد قتل معاوية بن أبي سفيان شخصيات سياسية ورجالا ً من المعارضة ممّن يوالون الإمام َ عليّا ً (ع) وأبناءه وهم:

"غيّبتُموه عنّ ِي طويلاً، ثمّ أهد َي°ت ُموه إليّ َ قتيلاً، فأهلاً به من هديّة غير قال ِي َة ولا م َقلية".

- 2 \_ عبدا∐ بن يحيى الحضرمي وأصحابه.
- 3 \_ رشيد اله َج َري، وقد ق ُط ِع َت يداه ورجلاه وهو حي.
  - 4 \_ جويرية بن مسهر العبدي.

5 ـ أوفى بن ح ُصن، وهو أو ّل قتيل قتله زياد بالكوفة أثر حوار وقع بينهما، وكان قد سأله عن عثمان ومعاوية فأجاب أجوبة ً م َرضي ّة ً عند زياد، ثم ّ سأله فما تقول في ّ َ؟ قال:

"بلغني، أنسّك قلت َ بالبصرة: وا□ لاخذن ّ البريء َ بالسقيم، والم ُقبل َ بالم ُدبرِر َ، قال: قد قلت ُ ذاك: قال: خ َب َط°ت ُها عشواء َ، فقال زياد: ليس النفاخ بشر ّ ِ الزسّمرة ف َق ُت ِل ".

ونقل إلينا ابن الاثير صورا ً تاريخي ّة دامية عن أحداث ووقائع وقعت في البصرة بعد الصلح بين الحسن (ع) ومعاوية قال:

"فلم" استخلف زياد سمرة على البصرة أكثر القتل فيها، فقال ابن سيرين: قتل َ سمرة ُ في غيبة ِ زياد هذه ثمانية آلاف، فقال له زياد: أتخاف ُ أن ْ تكون َ قتلت َ بريئا ً؟ فقال: لو قتلت ُ معهم مثلهم ما خشيت ُ. وقال أبو السواري العدوي: قتل سمرة ُ م ِن قومي غداة ً واحدة ً سبعة ً وأربعين كلسّهم قد ج َ م َ ع َ القرآن".

هذه صور دامية من صور تلك الفترة التاريخية، تحكي لنا عن طبيعة السلطة وأسلوبها في التعامل مع أبناء الا ُمّة، ومع قوى المعارضة سواء الّتي كانت توالي أهل البيت أو الّتي تتحرّك بشكل مستقل ضدّ السلطة الحاكمة.

ونقل المؤرِّ خون صورا ً دعائية مضادة ومعادية للمعارضة التي كان يقودها الحسن والحسين (ع) سبطا رسول ا محمّد (ص)، وخ ُطبا ً استفزازية كانت السلطة المركزية قد تبنَّتها، فقد تبنَّى الحزب الأموي تشويه شخصية الإمام عليّ بن أبي طالب (ع) وشن حملة تضليلية ضدّه، وإعلان سبّه والنيّيل منه على منابر الجمعة والجماعة، فأثار َ هذا العمل مشاعر الا ُمّة بشكل عام، والحسن والحسين وأنصارهم والصّحابة التابعين التّذين عرفوا فضل الإمام علي ومقامه وجهاده وعدله وعلمه وأدبه، بشكل خاص. فقد نقل المسعودي حادثة جرت بين معاوية وسعد بن أبي وقاص تصوّر تبنّ ِ معاوية لهذه الخطّة الدعائية، ورفض طلائع الا ُمّة وأخيار الصحابة لها. قال:

د َخلت ُ لك دارا ً ما بقيت ُ، ثمَّ نهض".

ونقل ابن الأثير:

"وكان بـُس°ر بن أبي أرطاة عند معاوية فنال من علي"، وزيد بن عمر بن الخطّاب حاضر، وا ُمّه ا ُمّ كلثوم بنت عليّ، فَعَلاه ُ بالعصا وشَجَّّه"..

وذكر أيضاً:

"ولمّا و ُلَّ ِيَ المغيرة ُ الكوفة َ استعمل كثير َ بن شهاب على الرَّ يَ، وكان ي ُكَ ْثِر ُ سَبَّ عليّ على منبر الرِّ ي، وبقي عليها إلى أن و ُلِّ ِي َ زياد الكوفة فأقرَّه عليها".

"وكان زياد قد جمع الناس بالكوفة ِ بباب ِ قصر ِه ِ يـُحر ّ ِضهم على لعن ِ علي ّ، فمن بي َ ذلك عرض َه ُ على السيف".

وبقيت هذه الحملة ضد ّ علي ّ بن أبي طالب (ع) حت ّى جاء عمر بن عبدالعزيز فأمر بتركها وقام بتطهير الجهاز الحكومي القائم قبله.

## ونقل المسعودي:

"وكان عمر في نهاية النّ ُسك والتواضع، فصرف عمّال مَنْ كانَ قبله من بني ا ُميّة، واستعمل أصلَحَ مَن قبله من بني ا ُميّة، واستعمل أصلَحَ مَن قَد ِرَ عليه، فسلك عمّالهُ مُ طريقتَه ُ، وتركَ لعنَ عليّ (ع) على المنابر، وجعلَ مكانه، (رَبَّناً اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا السَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُهُ فِي قُلُهُ وَبِينَ العَشرِ10). قُلُهُ وَدِينًا غَلِلا لِلسَّذِينَ آمَنهُ وا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفُ رَحيِم ُ) (الحشر/10).

وقيل بل جعل مكان ذلك: (إِنَّ َ اللَّهَ مَ يَأَ ْمُرُ بِالَّعَدَّلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءَ ذِي الـْقُرْبَى وَيَنَيْهِ َى ءَنِ الـْفَحْشَاءِ وَالـْمُنَكْرِ وَالـْبَغْيِ) (النحل/90).

وقيل بل جعلهما جميعاً، فاستعمل الناس ذلك في الخطبة إلى هذه الغاية".

وإذا تركنا هذه الأسباب والعوامل الـّتي أجـّجت نار الثورة وحر ّكت قوى المعارضة، والـّتي كانت تدعو إلى تطبيق أحكام العدل والمساواة الـّتي نادى بها الإسلام، واحترام إرادة الا ُمّة، والالتزام الكامل بقيم الإسلام ومبادئه في الحكم والسياسة والتعامل مع الا ُمّة.

إذا تركنا ذلك ودرسنا الاوضاع الاقتصادية، وكيف كان الجهاز الحاكم يعطّ ِل قوانين التوزيع الاقتصادي السّتي نادى بها الاسلام؟ وهي قوانين تنصّ على المساواة في العطاء وتحريم الاحتكار ووجوب الكفالة والضّمان الاجتماعي للطبقات الفقيرة ومكافحة الفقر، سنجد حافزا ومحرّكا ً قوينّا ً للثورة والتحرّك، حرّك جماهير الا ُمنّة وحفّزها للاستنجاد بالحسين (ع) والتوجنّه نحوه وهو الحافز الاقتصادي بالإضافة إلى الحافز الأمني والسياسي والحوافز الا ُخرى.

فقد شعرت الطبقات الضعيفة بضياع حقوقها وانتشار الفقر بين صفوفها، في حين تتكدِّس الثروة بيد فئة وطبقة معيِّنة، والقرآن ينادي:

(وَا لَّ َذَيِنَ يَكَّنْزِرُونَ الذَّ َهَبَ وَا لَّ فَيضَّةَ وَلاَ ينُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ا∐ِ

فَ بَسَّرِ °هُمُ ° بِعَ ذَ اب أَ لَيم) (التَّوبة/34)

(مَا أَوَاءَ ا□ُ عَلَي رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْرَى فَلَلِلَّهِ وَلَلِلَّسَولِ وَلَدَيَ الْوَاءَ اَلُّ فَك لاْهُرْبَى وَاللْهِيَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُوْنَ دُولَةً بَيْنَ ا لاْءَغْننِيَاء ِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرّّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّتَقُوا ا□َ إِنَّ اَ□َ شَدِيدُ اللْعِقَابِ ِ) (الحشر/ 7)

لقد وصف َ لنا التاريخ التركيب الاقتصادي لتلك الفترة من حياة المجتمع واضطراب موازين التوزيع الاقتصادي فيه، فذكر أرقاما ً لثروة أفراد كانت تعتبر في تلك المرحلة ثروات طائلة.

ذكر مثلاً أسماء أشخاص استفادوا على امتداد الظروف السياسية السّتي خلقها توغسّل الحزب الأموي في السلطة في فترة من عهد الراشدين وحتسّى عهد يزيد.

فقد ذكر المؤرِّ خون مثلاً:

"أن" ءَم°رَو بن العاص والي مصر في عهد معاوية بلغت ثروته من العَين ثلاثمائة ألف دينار وخمسة وعشرين ألف دينار، ومن الوَرق ألف درهم، وغلة مائتي ألف دينار بمصر، وضيعته المعروفة بمصر بالوهط قيمتها عشرة آلاف ألف درهم".

"وأنّ عبدالرّحمان بن عوف ق ُسّ ِم َ ميراثه على ستّة عشر سهما ً فبلغ نصيب كلّ امرأة له ثمانين ألف درهم".

"وحصل مروان بن الحكم على خمسمائة ألف دينار من موارد أفريقيّة".

"وحصل ابن العاص على هديّة مقدارها مائة ألف درهم".

"كما حصل عبدا∐ بن خالد بن أسيد على هديّة مقدارها أربعمائة ألف درهم".

"وق ُد ّ ِرت ثروة ي َعلى بن منية بخمسائة ألف دينار وديونا ً على الناس وعقارات غير ذلك من التركة ما قيمته ثلاثمائة ألف دينار".

"وسعد بن أبي وقّاص ترك يوم مات مائتي ألف وخمسين ألف درهم".

"وذكر سعيد بن المسيب أن زيد بن ثابت حين مات خـَلسّف َ مـِن َ الذهب ِ والفضسّة ِ ما كان يـُكسـَر بالفؤوس غير ما خـَلسّف َ مـِن َ الاموال ِ والضّيعاع ِ بقيمة مئة ألف دينار".

إن هذه الأرقام والإحصائيات السّتي نقلها إلينا المؤر ّخون كو ّنت طبقة م ُتر َفة متمي ّزة، وهي ليست هذا النفر وحسب، بل هذه نماذج من الوضع الاقتصادي السّذي بدأ يفرز ُ طبقتين في المجتمع الاسلامي، طبقة فقيرة محرومة، وطبقة غني ّة ثري ّة تملك الأموال والأراضي والعقار، فنمت هذه الثروة ُ وو ُر ّثت، فأثار هذا الوضع الرأي العام الإسلامي السّذي أليف َ المساواة في التوزيع، وآمن بحركة المال وتحريم الكنز والاحتكار والطّبقية.

فكانت هذه الأوضاع الاقتصادية هي أحد الأسباب الـّتي أجَّجت نار الثورة، وجعلت الطبقات المحرومة وم َن ينادون بالمساواة يتّجهون إلى الحسين (ع)، باعتباره القائد التّذي يستطيع أن يطبِّق أحكام الاسلام

وقوانينه كما ألفوها أيّام رسول ا□ (ص).